فصلية علمية - محكمة نصف سنوية، دراسات حديثة في نهج البلاغة،
السنة الأولى، العدد الأول (المتوالي ١)، خريف وشتاء ١٣٩٦ش.
١٤٣٩ق. (٧٣-٦٣)

Biannual Journal *Current Studies in Nahj al- Balaghah.*
Vol. 1, No. 1, Autumn & Winter 2017 (63-73)

دراسة طبيعة السبّ واللعن عند الإمام علي (ع) في نهج البلاغة

اكبر توحيدلو
أستاذ مساعد في قسم علوم القرآن والحديث بجامعة پيام نور، طهران، إيران. (tohidlou53@yahoo.com)
تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/١/١٦ تأريخ القبول: ١٤٣٩/٣/٢٠

Imprecation and Curse (La'an) by Imam Ali in Nahj-ul-Balagha

Akbar Tohidlou
Assistant Professor, Department of The Qur'an and Hadith, Payame Noor University (tohidlou53@yahoo.com)
Received: 10/December/2017 Accepted: 08/October/2017

الملخص

لقد أفرد موضوع «السبُّ واللعن» مكانا له فى أروقة تأريخ الإسلام، كما شكلت مادة دسمة دارت حولها صراعات كثيرة. فيبدو فى النظرة الأولى أنّ السب واللعن مرادفان، غير أنّ الإمعان فى الجانب اللغوي للاثنين ووردهما فى الآيات والأحاديث يظهر لنا ما يبعدهما عن البعض من فوارق. فعدم التمييز بين ما يحمله كل منهما من مفهوم قد أدى إلى ظهور شبهات مختلفة وتوجيه شتى أنواع التهم من ناحية مختلف أتباع الطوائف الإسلامية. هذا المقال ينوي النظر فى ثنايا ما ورد فى ذلک من الخطب والرسائل والحكم فى نهج البلاغة فى توجيه الشتائم إلى بعض الناس. ظهر لنا بعد دراسة النتائج أنّ السب واللعن مختلفان. ذهب علماء اللغة أنّ السب مرادف للشتم. لكن اللعن يحمل معنا مختلفا يعنى الابتعاد عن الرحمة. فعلى غرار علم اللغة هناك فارقا بين الاثنين فى القرآن. وهذا يدل على جواز استخدامه. أما السنة النبوية تنطوي على لعن المشركين والمنافقين وأعداء الرسالة وأهل الكتاب ومن أظهر العداء للمسلمين. والأسلوب المتبع فى تأليف هذا المقال هو الأسلوب المكتبى ودراسة الخطب والرسائل والحكم فى نهج البلاغة.

الكلمات المفتاحية: السب، اللعن، نهج البلاغة، الإمام علي (ع).

Abstract

Imprecation and curse are among the topics over which has always been controversy in the history of Islam. Although imprecation (sabb) and curse (la'an) seem synonyms, literally they refer to different concepts as they enjoy different implications in verses and Hadith. Using these words interchangeably has given rise to confusion and accusations among Muslims. The present paper explores sermons, letters, and wise statements of Nahj-ul-Balagha for affronts addressed to others. Reviews of these materials clearly showed that there exists some difference between imprecation and curse. Lexicologists have judged imprecation and affront as synonyms. The Qur'an also differentiates between these two words. Making a case of these words, The Qur'an obviously gives credit to their use. In deeds and words of the Prophet and also in some Hadith attributed to him there are cases of curse which have addressed hypocrites, pagans, and foes of Islam and Muslims. The present study is a library research with a focus on the sermons, letters, and wise statements of Nahj-ul-Balagha.

Keywords: Imprecation, Curses, Nahj-ul-Balagha, Imam Ali(AS).

المقدمة

يعد السب واللعن والاهانة، من الأخلاق الذميمة المنتشرة فى الكثير من المجتمعات، وشهدها العرب فى شبه الجزيرة فى العصر الجاهلى وفى صدر الإسلام. إنّ الإهانة تشكل أرضية ملائمة لانتشار الأخلاق الذميمة فى المجتمعات، وما يتبعها من الآثار والتداعيات، ومن الواضح أنّ الإلمام بتداعيات سلوك المرء يمكن أن تحول دون ظهور الكثير من الانحرافات، وأن يترك تأثيره الإيجابى فى ذلك الأمر.

كان السبُّ عند بعض الطبقات الاجتماعية، ظاهرة اعتيادية، بل كان معيارا إيجابيا بينهم، فإذا أرادوا أن يجذبوا أطراف الحديث فيما بينهم، كان يرون الإهانات والتنابز بالألقاب الذميمة أمرًا ممتعًا، وبلغ الأمر بهم درجة أنهم كانوا يرون ذكر المثالب مفخرة لهم.

إطار الموضوع

يعنى السب واللعن استخدام المفردات المذمومة والبذيئة والمؤذية، ويراد بالسب الحديثُ عن القضايا المذمومة والمستهجنة باستخدام العبارات الصريحة، وإيراد المفردات السيئة والتى لاتليق بالمكانة الإنسانية، ويحمل السب مفهوما متسع النطاق ويتضمن كل أنواع التهم السيئة.

ينهى القرآن عن الإهانة نهيا شديدا حتى لو كان الآخر كافرا. فيستنبط من بعض الروايات أنّ عددا من المؤمنين كانوا يسبّون أحيانا أصنام المشركين، وذلک كردة فعل منهم على عمل المشركين، فنهاهم القرآن عن ذلك بصريح العبارة وأوجب عليهم احترام أسس الأدب حتى فى مواجهة أكثر الأديان خرافة.

يقول الله تعالى فى الذكر الحكيم: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ» (الأنعام/ ۱۰۸) ينقل الشيخ الطوسى عن الحسن البصري فى سبب نزول الآية: كان المؤمنون يسبّون ما يعبده المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبده المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسبّ الكفار إله المؤمنين، فكأن المؤمنين قد أشركوا من حيث لايعلمون (الطبرسى، ۱٤۰٦: ٤/ ٤۲۱).

تأمر الروايات المسلمين بترك الإهانة، والاعتماد على منهاج المنطق، وعدم اللجوء إلى السب والاهانة فى مواجهة عقائد المعارضين، كما روي عن النبى (ص): «إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره» (الشيخ المفيد، ۲۰۰۰: ۱۱۸) وورد فى حديث آخر: «لا تسبّوا الرياح؛ فإنها مأمورة، ولا تسبّوا الجبال ولا الساعات، ولا الأيام ولا الليالى فتأثموا وترجع عليكم» (قمى، (الرضى، ۲۰۰٦: ۲/ ٥۷۷) قال رسول الله (ص): «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه» (قمى، ۱۹۹۳: ٤/ ۳۷۷) .

سمع أمير المؤمنين (ع) رجلًا يشتم قنبر وقد رام أن يرد عليه فناداه أمير المؤمنين (ع): «مهلًا يا قنبر دع شاتمك مهانًا ترضى الرحمن وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه» (أمالى، ۲۰۰۰: ۱۱۸) وجاء فى رواية أخرى: «من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها» (ابن أبى‌الحديد، ۱۹۹٥: ۲۰/ ۲۷۳) عن الإمام موسى الكاظم (ع): «ما تسابّ اثنان إلا انحطّ الأعلى إلى مرتبة الأسفل» (الديلمى، ۱۹۸۷: ۳۰٥).

كما روي أنه فى يوم صفين سمع الإمام (ع)أن أصحابه يسبون أهل الشام فقال: «كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا: لَعَّانِينَ، شَتَّامِينَ تَشْتِمُونَ، وَتَتَبَرَّءُونَ، وَلَكِنْ لَوْ وَصَفْتُمْ مَسَاوِئَ أَعْمَالِهِمْ فَقُلْتُمْ مِنْ سِيرَتِهِمْ كَذَا وَكَذَا، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ كَذَا وَكَذَا، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، ولَوْ قُلْتُمْ مَكَانَ لَعْنِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَبَرَاءَتِكُمْ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ احْقُنْ دِمَاءَهُمْ، وَدِمَاءَنَا» (الرضى، ۱۳٦۸: ۳۰٤).

كما قال الإمام (ع) قبل مواجهة العدو يوم الصفين: «ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم، فأنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول» (م. ن: ۳٥۲).

وَرُوِيَ أَنَّهُ (ع)كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَمَرَّتْ بِهِمُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ(ع): «إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، كَافِرًا مَا أَفْقَهَهُ، فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ،

فَقَالَ (ع): رُوَيْدًا إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ» (م. ن: ٥٢٠).

و هناك عددٌ كبير من الروايات التى تؤكد على الابتعاد عن السب وتوجيه الإهانة والشتم، لكن لو نظرنا إلى خطب الإمام على (ع)ورسائله وحكمه فى نهج البلاغة، لرأينا أحاديث تدلّ على ضرورة سب بعض المشركين والمنافقين وحتى أصحاب الإمام (ع)وأهل الكوفة، هذا ومنع أهل البيت (ع)أتباعهم من التفوه بالسب والإهانة؛ بين هذا وذاك، إنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هذا: لماذا تحدَّثوا أحيانا بعبارات تُعارِض أوامرهم الصريحة؟

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية وهى:

ما هو السبب فى ورود عبارات فى نهج البلاغة تتضمن نوعا من الإهانة والشتم؟

هل تعد هذه الحالات من مصاديق السب والشتم، أم أنها مجرد لعن؟

سيلقى هذا البحث الضوء على بعض أحاديث الإمام على (ع) كما ورد فى خطبه ورسائله وحكمه، ويكشف نوع الخطاب الكامن فيها؛ هل هى تصنَّفُ ضمن الإهانة أم السب، أم أنها أحاديث قيلت فى إطار العادات والتقاليد السائدة آنذاك، وهل يمكننا عدها معارضة للقرآن أم لا؟

سوابق البحث

لم يدوّن فى هذا المجال كتاب مستقل يعالج الأمر، غير أن هناك أبحاثا يمكن أن نعدّها مقدمة لهذا البحث، مثل كتاب

١. «مفهوم اللعن والسب فى القرآن الكريم، المجمع العلمى لأهل البيت (ع)» فالكتاب من تأليف المجمع العلمى لأهل البيت (ع) وباللغة العربية ويتطرق إلى مفهوم السب واللعن، ومكوَّن من عدة فصول، ألقى الكاتب الضوء بداية على مفهوم السب واللعن، ومن ثم تطرق إلى سمات اللعن والملعون، ثم ركّز على دراسة اللعن مفهوميا وذلك فى جانب المعتقدات. كما أولى اهتماما بآراء الخلفاء حول السب واللعن، وكذلك آراء أهل البيت (ع) فى المجال ذاته. هذا الكتاب متوفر على موقع المجمع العلمى لأهل البيت (ع).

٢. مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد.إنّ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد من تأليف أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبى الحديد المعتزلى ت ٦٥٦ هـ، هو أكثر الشروح تفصيلا على نهج البلاغة، ويحظى بتأييد المسلمين كافة، هذا الكتاب مكوّن من ٢٠ جزءا، ويسير على ترتيب نهج البلاغة، إذ يبدأ بالخطب ثم بالرسائل وأخيرا بالكلمات القصيرة.

٣. ترجمة نهج البلاغة الفارسية لدشتى، يُعَدُّ محمد دشتى (ت٢٠٠١) من كبار العلماء المعاصرين، ذاع صيته بسبب الكتب التى نشرها فى مجال نهج البلاغة وخاصة ترجمة نهج البلاغة، ومعجم نهج البلاغة، ومقدمات كتبها فى مستهل كل خطبة ورسالة، وإلقاء نظرة عابرة على سيرة الشخصيات الواردة فى الخطبة، وذكر المناسبة التى قيلت فيها تلك الخطب، واتخاذ الإمام (ع)لتلك المواقف، ويمكن إدراجها في إطار سوابق هذا البحث.

السب ومفهومه المفهوم اللغوي

السب والاهانة على أنواع، ويحمل كل منهما فى الأدب العربى مفهوما خاصا، وتفيدنا المعاجم أنّ هذه المفردات: الهجو، والهجر، والسب، والشتم، والاهانة، والتفحش، والعار، والبذاءة، والسلاطة، وما شابهها، تشكل أنواعا للسب والاهانة. فالإهانة هى الإساءة نحو الآخر أكثر مما هو لازم (دهخدا، ١٩٤٦: ١٢/٣٥) بعبارة أخرى إذا ما تجاوزت السيئات حدها، يلجأ الشخص إلى السب. أما التفحش فيعنى الهجاء، والسب يعنى القول السيئ أو الإهانة.

قال الراغب: السب هو الشتم الوجيع (الاصفهانى، ١٩٩٧: ٢٢٥) وذهب ابن أثير أنّ الإهانة تعنى الشتم لاغير (ابن‌اثير، ١٩٨٨: ٤/ ٣٣٠) كما ذهب كل من الجوهري (الجوهري، ١٤١٦: ٤/ ٢١) والطريحى (الطريحى، ١٩٩٦: ٦/ ٣٠٩) وابن منظور (ابن منظور، ١٩٩٦: ١/ ٤٥٥) هذا المذهب عند الحديث عن مفهومها لغويا. يبدو أنّ علماء اللغة اعتبروها مرادفة للسب والشتم، غير أنّ اللعن يحمل مفهوما مختلفا، ويعنى البعد عن الرحمة (م. ن) فلو راجت بين الناس تعنى طلب الطرد وتحمل مفهوما مختلفا عن السب والشتم.

إنّ السب واللعن يختلفان لغويا كما يختلفان من ناحية المعنى، ويظهر هذا الاختلاف في القرآن الكريم واضحًا؛

فمفردة اللعن وردت فى القرآن ۳۷ مرة ونسبت إلى الله تعالى، ونقلت على لسان الناس مرة واحدة، فهذا العدد من الورود يدل على جواز التفوّه بها، غير أنّ السب ورد فى القرآن مرة واحدة، ونهى عن الإهانة، وهذا يدل على عدم جواز السب والشتم.

أما فى السنة النبوية نرى العشرات من الأحاديث، والتى تشتمل على لعن المشركين، والمنافقين، وأعداء الرسالة، وأهل الكتاب، ومن أبدوا العداء للمسلمين (بسيونى زغلول، ۱٤۱۰: ٦/ ٥٩٥) كما ورد فى التواريخ «جهِّزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه» (الطبري، ۱۳۸۷: ۳/ ۲۲٦؛ شهرستاني، ۱٤۱۰: ۱/ ۱۲۹).

مصاديق اللعن والملعونين فى القرآن والروايات

يظهر لنا عند دراسة آيات القرآن الكريم أنّ الملعونين أربع فئات: إبليس، وهو أول الملعونين، واستحق اللعن الإلهى كما ورد فى الذكر الحكيم: (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّين) (ص/ ۷۸) والكفار، كما ورد فى القرآن الكريم: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) (الأحزاب/ ٦٤)أهل الكتاب: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) (مائدة/ ۸۷) والمسلمون، وهم على عدة أقسام: الكذابين(النور/ ۷) والظالمين (هود/ ۱۸) ومن آذى النبى (ص) (الأحزاب/ ۵۷) ومن اتهم البريئات بالزنا (النور/ ۲۳) والمنافقين (التوبة/ ٦۸) والقتلة (النساء/ ۹۳) والفاسدين (محمد/ ۲۲) وقاطعي الأرحام (محمد/ ۲۲).

دراسة نص الخطب والرسائل والحكم الواردة فى نهج البلاغة

بعد أن خضنا فى التعريفات وألقينا الضوء على الخطوط العريضة للنص، واتضح لنا ما يفرق بين السب واللعن، ننتقل إلى صلب الموضوع وهو دراسة أحاديث الإمام على (ع)فى نهج البلاغة حول موضوع السب واللعن.لقد وردت عبارات فى ٤۲ خطبة ورسالة وحكمة فى نهج البلاغة، تدلّ على أنّ الإمام لعن البعض وشتمهم.

۱. مخاطبة الخلفاء

إنها الخطبة الشهيرة بالشقشقية، إذ وجّه نقده للخليفة الثانى بالقول: «يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ». ثم يقول عن عثمان: «إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ» (الرضى، ۱۳٦۸: ۳۰).

كما هو واضح من العبارات فإنّ الإمام عبّر عن انتقاده لهما فى لباس التشبيه وبمختلف الأمثلة، وكان يرمى من هذا إلقاء الضوء على معنويات وأخلاق الخلفاء الثلاثة، فحقق ما يصبو إليه مستعينا بمختلف الأساليب التعبيرية.

۲. مخاطبة أهل البصرة

يذم الإمام (ع)فى الخطبة الـ ۱۳ أهل البصرة بعد وقعة الجمل، ويلومهم عل جهلهم: «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ، رَغَا فَأَجَبْتُم، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ. أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِيْنُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، المُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ» (الرضى، ۱۳٦۸: ۳٦).

ألقى الإمام (ع)الخطبة الـ ۱٤ وذم فيها أهل البصرة قبل وقعة الجمل ولام جهلهم وسفاهتهم: «خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِل وأُكْلَةٌ لِآكِل وفَرِيسَةٌ لِصَائِل».

وجاءت الخطبة ۱۵٦ قبل تحقيق النصر فى وقعة الحمل عام ۳٦ والخطاب موجّه لأهل البصرة: «وَأَمَّا فُلَانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَل الْقَيْن» (م. ن: ۲۰٤).

ألقيت الخطب الثلاثة قبل يوم الجمل، إذ وقف أهل البصرة بوجه إمام زمانهم دعما لفئة ضالة، فانتصر الإمام (ع) عليهم بعد حرب دامية، ووجه لهم انتقاده في الخطب الثلاثة.

۳. لعن أشعث بن قيس

الخطاب فى الخطبة الـ ۱۹ موجّه لأشعث بن قيس، وذلك بعد أن احتج الأشعث على الإمام، وردّ الإمام (ع)عليه قائلا: «عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللاَّعِنِينَ! حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٌ! مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ! وَاللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الكُفْرُ مَرَّةً وَالإِسلام أُخْرَى!» (م. ن: ٤۲).

كان الأشعث بن قيس من المنافقين والخوارج، وكان قد تولّى ولاية أذربيجان فى عهد عثمان بن عفان، عندما تولّى الإمام (ع)الخلافة، أبقاه واليًا على أذربيجان وأرمينية. لعب الأشعث فى موقعة صفين دورا بارزا سواء فى الحرب أو فى مفاوضات التحكيم، وكان من الذين أرغموا الإمام على قبول

التحكيم، واختيار أبى موسى الأشعري حَكَمًا لأهالى العراق (الدينوري، ١٩٩٩: ١٧١) من هنا تعتبره الروايات الشيعية «خائنا مخضرما». قال الأشعث للإمام: لو لم تقبل بالتحكيم، فلا يحارب إلى جانبك شخص واحد من قبيلتى (الطبري، ١٣٨٧: ٤/ ٥٦٩-٥٧٢).

٤. مخاطبة أهل البصرة

يخاطب الإمام (ع)أهل الكوفة فى الخطب ٢٧ و٢٩ و٣٤ و٣٩ و٦٩ و٧١ و١٠٨ و١٢١ و١٣١ و١٧٥ و١٨٠ و٢٣٨ يذمهم فيها، لكن لايوجد فيها السب.

ألقى الإمام الخطبة ٢٧ عام ٣٨هـ. ق عندما وصله خبر هجوم جيش معاوية على مدينة الأنبار، وتساهُل أهل الكوفة وتراخيهم، إذ قال: «يَاأَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَرِجَالَ! حُلُومُ الأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبّاتِ الحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّى لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً -وَالله- جَرَّتْ نَدَمًا، وَأَعقَبَتْ سَدَمًا قَاتَلَكُمُ اللهُ! لَقَدْ ملأتم قَلْبِى قَيْحًا، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَّعْتُمُونِى نُغَبَ التَّهْمَام أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَىَّ رَأْيِى بِالعِصْيَانِ وَالخذْلاَن» (الرضى، ١٣٦٨: ٥٢).

جاءت الخطبة ٢٩ بعدما شنّ ضحاك بن قيس عام ٣٧ هجوما على قافلة الحجاج وسلبهم أموالهم: «أَيُّهَا النَّاسُ، الْمجْتَمِعَةُ أَبْدَانهُمْ، الْمخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلامُكُم يُوهِى الصُّمَّ الصِّلابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأَعْدَاءَ!، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ دِفَاعَ ذِي الدَّيْن المَطُولِ، لايَمنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ!» (م. ن: ٥٤).

كما ألقى الإمام الخطبة ٣٤ بعد إنزال الهزيمة بالخوارج عام ٣٧، بهدف استنفار الناس إلى أهل الشام فى نخيلة الكوفة: «أُفٍّ لَكُمْ!... فَأَنْتُمْ لاتَعْقِلُونَ... مَا أَنْتُمْ إلاَّ كَإِبِل ضَلَّ رُعَاتُهَا...» (م. ن: ٥٨).

أما الخطبة ٣٩ خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر؛ تلك الأراضى المعمورة الواقعة غربى الفرات وقصور أهل الكوفة عام ٣٩ هـ: «لاَ أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلاَ حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ» (م. ن: ٦٤).

أما الخطبة ٦٩ خطبها عام ٣٩ هـ عندما علم بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر وذم فيها أهل الكوفة: « أَغْلَقَ كُلُّ رَجُل مِنْكُمْ بَابَهُ، وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فى جُحْرِهَا، وَالضَّبُع فِى وجَارِهَا، الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ» (م. ن: ٨٢).

خطب الإمام خطبة رقم ٧١ عام ٣٧ هـ بعدما انصاعوا لخدع عمرو بن العاص ومعاوية، فيخاطبهم محذرا: « وَلَقَدْ بَلَغَنِى أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ» (م. ن: ٨٤).

أما الخطبة رقم ١٠٨ يتحدث فيها عن الأحداث الصعبة المستقبلية: «مَا لِى أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاح وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاح وَنُسَّاكًا بِلَا صَلَاح وَتُجَّارًا بِلَا أَرْبَاح وَأَيْقَاظًا نُوَّمًا وَشُهُودًا غُيَّبًا وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ وَسَامِعَةً صَمَّاءَ وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ رَايَةُ ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ» (م. ن: ١٤٠).

أما فى الخطبة ١٢١؛ بعد أن قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد؛ صفق (ع) ثم قال: «أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِى كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ» (م. ن: ١٦٢).

خطب الإمام (ع) خطبة رقم ١٣١ على المنبر وتُعرَفُ بالخطبة المنبرية: «أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ» (م. ن: ١٧٤).

و ذهب الشارحون لخطبة ١٧٥ أنّ الإمام (ع)كان مُسندًا إلى عمود مسجد المدينة وقال: « أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ» (م. ن: ٢٣٤).

و خطب الإمام (ع) خطبة رقم ١٨٠ عام ٣٧ بهدف تقديم العون لمحمد بن أبى بكر فى مصر وفى ذم العاصين من أصحابه: « لاأَبَا لِغَيْرِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمُ الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ أَ وَلَيْسَ عَجَبًا أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ... وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ» (م. ن: ٢٤٤).

و ألقى خطبة رقم ٢٣٨ فى شأن الحكمين وذم أهل الشام: « جُفَاةٌ طَغَامٌ وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ» (م. ن: ٣٣٦)

مدح الإمام علی (ع)أهل الكوفة قبل وقعة الجمل وبعدها عندما انتصر علی العدو؛ لهذا كان السواد الأعظم من أهل الكوفة داعمين للإمام قلبا وقالبا؛ كما لايغيب عن بالنا بأنّ أناسًا من أهالی الكوفة فضّل عدم الخروج إلی الحرب، فَتُرِكَ الإمامُ وحيدا يخوضها؛ وهم قاتلوا إلی جانبه أهلَ الجمل والخوارج ويوم الصفين، لاننسی أنّه فی وقعة الجمل حضر ٤۰۰ مقاتلا من المدينة والمدن الأخری إلی البصرة وقدّموا العون للإمام (ع)، لكن كان أهل الكوفة يشكّلون الأغلبية فی الحروب الأخری التی خاضها الإمام (البلاذري، ۲۰۰۰: ۲/ ۱۵۸؛ الطبري، ۱۳۸۷: ٤/ ٤۷۷-٤۷۹؛ المسعودي، ۱٤۰۹: ۳/ ۱۰۳-۱۰۵) لكن السؤال المطروح هنا يدور حول ذم الإمام (ع)إياهم والرسالة التی يحملها الذم فی خطبه.

لقد اختار الإمام (ع) تلك الكلمات والخطب كآخر حلٍّ لتلك الفئة، فالذين لاتحرّك الأحداث حميتهم، ويتقبلون برحاب الصدر شتی أنواع الشتائم والإساءات، أراد الإمام باتخاذه هذا الأسلوب فی الكلام إثارتهم لمواجهة العدو، هذا إذا بقی فی ذاتهم أقل المشاعر التی تحرّك ساكنا.

إنّ استخدام هذا السبيل يأتی بثماره فی مواجهة بعض الفئات، كما يؤكد علم النفس علی هذا الأمر. أراد الإمام أن يقوم بعمل يثير فيهم الحمية، من هنا نری أنّ استخدام هذا الأسلوب في التعبير يأتي متناسقا مع قضية البلاغة في الكلام.

هذا ويستخدم الإمام هذا الأسلوب بعدما استخدم أساليب أخری ومنها شحذ الهمم والحديث عن القيم المعنوية والمادية مثل الجهاد في سبيل الله.فهذه الأحاديث قد جرت علی لسان من يَئِسَ مِن أَتباعه ولا يری سبيلا سوی التفوه بتلك المفردات العنيفة، بغية استيقاظهم من سُباتهم.

٥. مخاطبة طلحة والزبير

أنفذ عبد الله بن عباس إلی الزبير يستفيئه إلی طاعته قبل حرب الجمل فقال: « لاتَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ» (الرضي، ۱۳٦۸: ٥٤).

و قال (ع)فی شأن طلحة والزبير وفی البيعة له عام ۳٦ قُبيلَ الحرب: «وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فِيهَا الْحَمَأُ وَالْحُمَّةُ وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ» (م. ن: ۱۸۰).

أسلم طلحة بن عبيد الله علی يد أبي بكر. وكان من المهاجرين (ابن هشام، د. ت: ۱/ ۲۵۱ -۲۵۲؛ المسعودی، ۱٤۰۹: ۲/ ۲۷۷؛ ابن الاثير الجزری، ۱٤۰۹: ۲/ ٤٦۸) كان طلحة من ضمن الذين طوّقوا بيت عثمان عام ۳۵. واتُّهِمَ بقتل الخليفة الثالث (البلاذری، ۲۰۰۰: ٥/ ٥٦۱) ويقال أنّ طلحة يُعَدُّ من العناصر الرئيسية المحرِّضة علی قتل الخليفة الثالث (اليعقوبی، د. ت: ۲/ ۱۷۵) ثار علی الإمام علی (ع)فی وقعة الجمل (ابن خياط، ۱٤۱۵: ۱۰۸) واعتبره الإمام (ع) أنّه أمكر الناس (ابن أعثم الكوفی، ۱٤۱۱: ۲/ ٤٦۳-٤٦٤) قتل طلحة وترك بعد وفاته ثروة هائلة، وفی يد خازنه ألف ألف درهم ومائتا ألف درهم، وقُوِّمَت أصوله وعقاره بثلاثين ألف ألف درهم (ابن سعد، ۱٤۱۰: ۳/ ۱٦٦ -۱٦۷).

لقد زار طلحة والزبير الإمامَ، فقالا: إنه قد نلنا بعد رسول الله جفوة فأشركنا فی أمرك، فقال: « أنتما شريكاي فی القوة والاستقامة وعوناي علی العجز والأود»، فقالا: « إنا نريد العمرة، فأذِّن لنا فی الخروج»، فقال علی لبعض أصحابه: «والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة» (اليعقوبی، د. ت: ۲/ ۱۸۰).

٦.مخاطبة مصقلة بن هبيرة

فی عام ۳۷ ابتاع مصقلة سبی بنی ناجية من عامل أمير المؤمنين (ع)وأعتقهم، فلما طالبه المالَ استنكف وهرب إلی الشام، فقال له الإمام(ع): «قَبَّحَ اَللَّهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ اَلسَّادَاتِ وفَرَّ فِرَارَ اَلْعَبِيدِ» (الرضی، ۱۳٦۸: ٦٦).

كان مصقلة بن هبيرة عامل الإمام (ع)علی أحد مدن فارس وكان قد بذل أموال بيت المال إلی أقاربه فی فترة حكمه، بلغ الإمامَ هذا الأمر، فنهاه عن فعله، وطالبه الأموال، وصل مصقلة إلی البصرة واقترح دفع أقل من نصف أموال بيت المال، فرفض الإمام، فانضم إلی معاوية (الطبري، ۱۳۸۷: ٥/ ۱۲۹).

۷.مخاطبة معاوية

قال الإمام(ع) فی آخر أيام حياته الشريفة، فی ذم أهل الكوفة وتحذيرهم: «أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لايَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ» (الرضي، ۱۳٦۸: ۷٦)

و بعد حرب صفين قال فى مدينة الكوفة عام ٣٧: «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّى وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ» (م. ن: ٣٠٠)

و كتب إلى معاوية فى أرض الصفين عام ٣٦ قبل بدايته: «مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لايُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا الْأَمْر وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ وَلَا تُمَكِّن الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدَمِ سَابِقٍ وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًا فِى غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ» (م. ن: ٣٤٨).

و كتب أيضًا (ع)إلى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه فى صحراء صفين عام ٣٧: « وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ»(م. ن: ٣٥٤).

و كتب أيضًا (ع)إلى معاوية جوابا له بعد موقعة الجمل عام ٣٦: «لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ»(الرضى، ١٣٦٨: ٣٦٤) وكتب أيضًا (ع) له: «وَأَرْدَيْتَ جِيلًا مِنَ النَّاس كَثِيرًا خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ وَأَلْقَيْتَهُمْ فِى مَوْجِ بَحْرِكَ تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ... فاتق الله يَا مُعَاوِيَةُ فِى نَفْسِكَ وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ وَالْآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ وَالسَّلَامُ» (م. ن: ٣٨٢).

و أرسل(ع) إلى معاوية عام ٣٦ هـ قبل وقعة الصفين: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ الَّتِى هِىَ لِلَّهِ طِلْبَةٌ» (م. ن: ٣٨٦).

و من كتاب له (ع)إلى معاوية جوابًا لتهديده بالهجوم العسكري: «وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ» (الرضى، ١٣٦٨: ٤٣٠).

اعتبر الإمام (ع)معاوية من الطلقاء وممن أسلموا فى فتح مكة (ابن‌عساكر، ١٤٢١: ١/ ٣٤٩) ودعا رسول الله أن لايشبع بطنه (البلاذرى، ٢٠٠٠: ٤/ ١٢٥) عيّنه عمر عاملا للأردن (اليعقوبي، د. ت: ٢/ ٨٦؛ الطبرى، ١٣٨٧: ٤/ ٤٤٤) ولمعاوية مساوئ لاتعد ولا تحصى، لانقطة إيجابية فى سمات معاوية الظاهرية والأخلاقية والدينية، فكل ما فيه سلبيات ليست إلا.

٨.حول مروان بن الحكم

الخطبة ٧٣؛ قَالُوا: أُخِذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَم أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَل فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ (ع)إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع)فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَقَالَا لَهُ يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ (ع): «أَ وَلَمْ يُبَايِعْنِى بَعْدَ قَتْل عُثْمَانَ لاحَاجَةَ لِى فِى بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِى بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْب أَنْفَهُ وَهُوَ أبو الْأَكْبُش الْأَرْبَعَةِ وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ»(الرضى، ١٣٦٨: ٨٦)

كان أبو العاص بن أمية من الذين آذوا الرسول وهو والد مروان، وكان الرسول قد طرده(البلاذرى، ٢٠٠٠: ٤/ ١٨٥) لعن الرسول مروان وأباه ونفاهما من المدينة. عندما تولى عثمان الخلافة، مهد الأرضية لعودة مروان وأبيه إلى المدينة، وأصبح من خواصه وتزوج ابنته (ابن‌عساكر، ١٤٢١: ١/ ٣٤٠) بعدما تولى الإمام على (ع) أمر المسلمين، مع أنه بايع الإمام، لكنه صار من الناكثين، وتوجه إلى البصرة فى وقعة الجمل، فشهد الحرب، لكن قُبِضَ عليه، توجه مروان إلى معاوية، وشهد صفين مدافعا عن معاوية، كما ولاه معاوية ولاية البحرين لفترة من الزمن.

٩. خطابه إلى النساء

خطب (ع)بعد فراغه من حرب الجمل فى مسجد البصرة عام ٣٦ وقال: «مَعَاشِرَ النَّاس إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَام فِى أَيَّام حَيْضِهِنَّ وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْن كَشَهَادَةِ الرَّجُل الْوَاحِدِ وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِى الْمَعْرُوفِ حَتَّى لايَطْمَعْنَ فِى الْمُنْكَرِ» (الرضى، ١٣٦٨: ٩٠).

و قد أوصى (ع) عسكره قبل لقاء العدو بصفين بالاهتمام بالنساء: «فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُس وَالْعُقُولِ».

ومن وصية له (ع)للحسن(ع)كتبها إليه عند انصرافه من صفين عام ٣٨: « وَإِيَّاكَ وَمُشَوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ

وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَايُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا (م. ن: ۸٦)

و قال الإمام (ع)على سبيل ضرب المثل: « الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لابُدَّ مِنْهَا» (م. ن: ٤۸۲).

المرأة والرجل متساويان فى الإسلام فى الجوهرة الإنسانية، لكن العقل عقلان: «العقل المعيار» وهو الذي يقود الإنسان إلى الكمال والقرب الإلهى، فـ«العقل ما عبد به الرحمان» (الكلينى الرازى، ۱۹۹٦: ۱/ ٥۰) هذا هو العقال للأهواء النفسية. و«العقل المُحاسِبُ» وهو تلك الآلية التى تُستَخدَمُ فى ترتيب أوراق المعاش. يتقدم الرجل على المرأة فى هذا المجال عادة، لكنه ليس معيارا للكمال بل يمثل نوعا من تقسيم العمل الطبيعى، وفى المقابل فإنّ المرأة تتمتع بالجانب العاطفى الكبير مقارنة بالرجل.

يفيدنا علم النفس أنّ للرجال والنساء ذكاءًا يختلف عن البعض، فللرجال ذكاء يتسم برؤية متمركزة، وللنساء ذكاءُ حواس ورؤيةٌ مفتوحة. هذا الأمر يترك تأثيره على حكم الرجل والمرأة. فلا تخفى عن منظار الرجال شاردة ولا واردة، بينما تفكر المرأة بإنزال أشد العقوبات، ذلك إنّ شدتها فى الغضب تساوي سرعتها فى التعبير عن الحب (مجد، ۲۰۰۲: ۱۰۱ و۹۷).

أما صفة نواقص الإيمان فإنها إشارة إلى ترك الصلاة والصوم عند العادة الشهرية، فإنها لاتؤدّي الفرائض فى هذه الأيام انصياعا لأوامر الله. وعبارة نواقص الحظوظ تشير إلى نصيب المرأة المالى فى بعض الأشكال مثل الإرث؛ فإن نصيبها أقل من الرجل، ويتمّ التعويض عن النقص بشكل آخر، أما الشهادة فإنّ شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل فى القتل والزنا وهو ملائم لسيكولوجية المرأة (م. ن).

۱۰.خطابه إلى أهل الشام

و يخطب الإمام (ع) عام ۳۷ هـ فى جنوده تحفيزًا لهم: « وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ» (الرضي، ۱۳٦۸: ۱٤۰) فلا تتضمن الخطبة السبَّ والشتم.

۱۱. خطابه فى بعض جنوده

و من كلام له (ع)فى بعض أيام صفين: « وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ» (م. ن: ۱٦٤)فلا سب فى هذه الخطبة.

۱۲.مخطابة الخوارج

خطب الإمام قبل وقعة النهروان عام ۳۷ رافضا عقائدهم: «ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ ومَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ» (م. ن: ۱۷۰).

و وصف فئة انضموا إلى الخوارج فى خطبة الـ ۱۸۱: «بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ» (م. ن: ۲٤٤).

أما الخوارج فهم فئة من المسلمين خرجوا على الإمام (ع) فى وقعة الصفين وقضية التحكيم بعد رفعهم القرآن على الرماح وإصرارهم للرجوع إلى القرآن، ثم أثاروا البلبلة، فأشعلوا نيران النهروان، وبعد تلقى الهزيمة فى النهروان، شكّل مَن تَبَقَّى من هذه الفئة الحجر الأساس لتيار اجتماعى وسياسى وعسكري وعقائدي خاص بهم وفقا لآرائهم، ولكن طال عليهم الأمد فانقسموا وتفرّقوا (البلاذرى، ۲۰۰۰: ۳/۱۱۲-۱۱۱).

بايع الخوارج فى العاشر من شوال عبد الله بن وهب أميرًا لهم، واتفقوا فيما بينهم على الخروج من الكوفة وخوض حرب النهروان (الطبري، ۱۳۸۷: ٥/ ۷٥-۷٤؛ الجرزى، ۱۳۸٥: ۳/ ۳۳٦-۳۳٥) فقتلوا فى طريقهم الأبرياء، وأنهى الإمام الجدل معهم، وخاض الحرب مرغما، وقتل فى يوم النهروان بعام ۳۸ أغلبهم (البلاذرى، ۲۰۰۰: ٥/ ۱٦۹؛ اليعقوبى، د. ت: ۲/ ۱۹۳؛ الطبري، ۱۳۸۷: ٥/ ۹۲-۸۰؛ تأريخ بغداد، ۱/ ٥۲۸).

وصفاتهم أغلبها مذمومة؛ مثل حفظِ القرآن وقراءتِه بلا تفكر، والعبادةِ الكثيرة الخالية من حقيقة الإيمان، والتظاهر بالزهد، وضيق النظر، والجهل بالسنة النبوية وأحكام الدين، والتشكيك في المعتقدات (أبوشباب، ۱٤۲٦: ٦۱-٥۹).

۱۳.لعن مغيرة بن الأخنس

وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان، فقال المغيرة بن الأخنس

لعثمان: « أنا أكفيكَه»، فقال أمير المؤمنين (ع) للمغيرة: «يَابْنَ اللَّعِين الأَبْتَر، وَالشَّجَرَةِ الَّتِى لاأَصْلَ لَهَا وَلاَ فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِى، فَوَاللهِ مَا أَعَزَّ اللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلاَ قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُه، اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَك، فَلاَ أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ!» (الرضى، ١٣٦٨: ١٣٥)

هو المغيرة بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبى سلمة الثقفى حليف بنى زهرة وإنما قال له أمير المؤمنين (ع) يا ابن اللعين لأن الأخنس بن شريق كان من أكابر المنافقين ذكره أصحاب الحديث كلهم فى المؤلفة قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم وأعطاه رسول الله (ص) مائة إبل من غنائم حنين يتألف بها قلبه، وابنه أبو الحكم بن الأخنس قتله أمير المؤمنين (ع) يوم أحد كافرا فى الحرب وهو أخو المغيرة هذا والحقد الذي فى قلب المغيرة عليه من هذه الجهة. إنما قال له: يا ابن الأبتر لأن من كان عقبة ضالا خبيثا فهو كمن لاعقب له بل من لاعقب له خير منه (ابن أبي الحديد، ١٩٩٥: ٨/ ٣٠١).

١٤.ذم برج بن مسهر الطائى

قال (ع) ردًّا على برج بن مسهر الطائى، وقد قال له: «لا حكم إلاَّ لله» وكان من الخوارج: «اسْكُتْ قَبَحَكَ اللهُ يَا أَثْرَمُ» (الرضي، ١٣٦٨: ٢٥٤).

١٥.ذم عاصم بن زياد

لبس عاصم بن زياد عباءة وتخلى عن الدنيا فقال له الإمام (ع): « يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ... قَالَ وَيْحَكَ إِنِّى لَسْتُ كَأَنْتَ» (م. ن: ٣٠٦).

تَخَلَّى الإمام عن نصحه لكنه لم يسبه، بل طالبه باتخاذ الاعتدال والوسطية فى قضايا الدنيا والآخرة (ابن أبى الحديد، ١٩٩٥: ١٠/ ١٦٠).

١٦. خطابه فى زياد بن أبيه

له (ع) رسالة إلى زياد بن أبيه يقول فيها: « وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِى النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ» (الرضى، ١٣٦٨: ٣٥٦).

كان زياد بن أبيه عاملا للإمام على (ع)ومعاوية، ولّاه الإمامُ بلاد اصطخر بأرض فارس بعد صلح الإمام حسن (ع) ورفض مبايعة معاوية بداية الأمر، لكنه بوساطة من المغيرة بن شعبة سار إلى معاوية، ودعاه معاوية «زياد بن أبى سفيان» استنادا إلى كلام نقله عن أبيه، كان زياد عنيفا جدا، وبالرغم من قتاله إلى جانب الإمام على (ع)فى الصفين والتظاهر بالتشيع، فى فترة حكمه على البصرة والكوفة، تراجع عن عقيدته واتخذ العنف والقسوة سبيلا فى التعامل مع الشيعة، فألقى الكثير منهم فى السجن وقتل بعضهم، ومنهم حجر بن عدي وأصحابه (الدينورى، ١٩٩٩: ٢١٩).

١٧. خطابه فى عمرو بن العاص

له (ع) خطاب إلى عمرو العاص عام ٣٩ هـ بعد الصفين: « فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرِ غَيُّهُ مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَام يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ» (الرضى، ١٣٦٨: ٣٨٨).

كان إسلامه فى صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر، فلما قتل عثمان سار إلى معاوية وعاضده، وشهد معه صفين، ومقامه فيها مشهور. بدأ التحكيمُ بخدعة من عمرو العاص وانتهت بخدعة منه(الجرزى، ١٤٠٩: ٤/ ٢٤٤؛ بصرى، ١٤١٠: ٤/ ٢٥٤).

الرسم الإيضاحى للخطب والرسائل ومضامينها

	الخطبة/الرسالة	المخاطب	نوع الذم
١	خ ٣	الخلفاء	انه تشبيه وليس سبا
٢	خ ١٣	أهل البصرة	الذم
٣	خ ١٤	أهل البصرة	الذم
٤	خ ١٩	الأشعث	اللعن
٥	خ ٢٧	أهل الكوفة	انه تشبيه وليس سبا
٦	خ ٢٩	أهل الكوفة	انه تشبيه وليس سبا
٧	خ ٣١	طلحة	انه تشبيه وليس سبا
٨	خ ٣٤	أهل الكوفة	انه تشبيه وليس سبا
٩	خ ٣٩	أهل الكوفة	انه تشبيه وليس سبا
١٠	خ ٤٤	مصقلة	انه ذم وليس سبا
١١	خ ٥٧	معاوية	انه تشبيه وليس سبا
١٢	خ ٦٩	أهل الكوفة	انه تشبيه وليس سبا
١٣	خ ٧١	أهل الكوفة	اللعن
١٤	خ ٧٣	مروان الحكم	انه تشبيه وليس سبا

ت	الخطبة/الرسالة	المخاطب	نوع الذم
١٥	خ ٨٠	النساء	انه تشبيه وليس سبا
١٦	خ ١٠٧	أهل الشام	انه تشبيه وليس سبا
١٧	خ ١٠٨	أهل الكوفة	انه تشبيه وليس سبا
١٨	خ ١٢١	أهل الكوفة	انه تشبيه وليس سبا
١٩	خ ١٢٣	جنوده	انه تشبيه وليس سبا
٢٠	خ ١٢٧	الخوارج	انه تشبيه وليس سبا
٢١	خ ١٣١	أهل الكوفة	انه تشبيه وليس سبا
٢٢	خ ١٣٥	مغيرة الأخنس	اللعن
٢٣	خ ١٣٧	طلحة	انه تشبيه وليس سبا
٢٤	خ ١٥٦	أهل البصرة	انه تشبيه وليس سبا
٢٥	خ ١٧٥	أهل الكوفة	انه تشبيه وليس سبا
٢٦	خ ١٨٠	أهل الكوفة	انه تشبيه وليس سبا
٢٧	خ ١٨١	الخوارج	انه تشبيه وليس سبا
٢٨	خ ١٨٤	البرج بن مسهر	اللعن
٢٩	خ ١٩٣	ابن الكواء	اللعن
٣٠	خ ٢٠٠	معاوية	انه تشبيه وليس سبا
٣١	خ ٢٠٩	علاء بن زياد	انه تشبيه وليس سبا
٣٢	ر ١٠	معاوية	انه تشبيه وليس سبا
٣٣	ر ١٤	النساء	انه تشبيه وليس سبا
٣٤	ر ١٧	معاوية	انه تشبيه وليس سبا
٣٥	ر ٢١	زياد بن أبيه	انه تشبيه وليس سبا
٣٦	ر ٢٨	معاوية	انه تشبيه وليس سبا
٣٧	ر ٣١	النساء	انه تشبيه وليس سبا
٣٨	ر ٣٢	معاوية	انه تشبيه وليس سبا
٣٩	ر ٣٧	معاوية	انه تشبيه وليس سبا
٤٠	ر ٣٩	عمرو العاص	انه تشبيه وليس سبا
٤١	ر ٦٤	معاوية	انه تشبيه وليس سبا
٤٢	خ ٢٣٨	النساء	انه تشبيه وليس سبا

الخاتمة

بعدما خضنا ثنايا الخطب والرسائل والحِكَم أعلاه، ظهر لنا النتيجة التالية: هناك فرق بين السب واللعن، وقد ذهب علماء اللغة أنهما ليسا مرادفين، لكن للّعن مفهوم مختلف، ويعنى الابتعاد عن الرحمة، ويظهر هذا الاختلاف فى القرآن، أما مفردة اللعن وردت فى القرآن ٣٨ مرة، ولعن الله تعالى فئات مثل إبليس وأتباعه لأفكارهم وسلوكم، فاستحقوا العذاب، وهذا يدل على جواز استخدامه من منظور الله تعالى فى القرآن. أما مفردة السب فقد وردت فى القرآن مرة واحدة، ونهى الله تعالى الناس عن شتم أعداء الله.

أما في السنة النبوية نرى هناك العشرات من الأحاديث للنبى الأكرم، تتضمن لعن المشركين والمنافقين وأعداء الرسالة وأهل الكتاب والذين عادوا المسلمين كثيرا، هذا الأمر يدل على جواز اللعن والشتم.

فكما رأينا لايسب الإمام (ع)أي شخص، لكن هناك مَن لعنهم الله، وهم الأشعث بن قيس وعبد الله بن الكواء، والبرج بن مسهر الطائى، ومغيرة بن الأخنس، كما لعن الإمام أهل الكوفة، لأنهم اتهموه بالكذب، كما وجّه الكلام للخلفاء وأهل البصرة والكوفة ١١ مرة، وإلى طلحة مرتين، وإلى مصقلة بن هبيرة ومعاوية ٨ مرات، ومروان بن الحكم والنساء ٤ مرات، وأهل الشام وجنوده، وإلى الخوارج مرتين، وإلى علاء بن زياد وزياد بن أبيه وعمرو العاص. ففى كل تلك القضايا لم يسب الإمام شخصا ما، كما لم يلعن أحدا ما، بل عرّف الإمام واقعهم الحقيقى للناس، وفضح ممارساتهم. فى الواقع أظهر واقع سلوكهم، لأصحابه، كى يعلموا كيفية القيام بالعمل الدينى الصحيح.

واجه الإمام (ع)فى عهد خلافته سلوكيات منحرفة كثيرة، كان بإمكان كل منها أن تتحول إلى انحراف كبير، واضطر الإمام (ع)، أن يقابل الانحرافات بقوة وصرامة، ففى بعض الأحيان كانت تلك الانحرافات تشكل تيارا مهما، على غرار انحراف الخوارج والشبهات التى ألقاها بعضهم فى حرب الجمل والصفين والنهروان، هذا وكان مصدر الانحرافات أشخاص، منهم من ناصر الإمام مثل الأشعث بن قيس وزياد بن أبيه، ومنهم من اتخذ موقف المعارض من الإمام مثل معاوية وعمرو بن العاص. كشف الإمام (ع)بكلامه البليغ وجوههم الحقيقي للناس.

المصادر

القرآن الكريم.

ابن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله (١٩٩٥). *شرح نهج‌البلاغة*. تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن أثير، محمد بن مبارک (١٩٨٨). *النهايه في غريب الحديث والاثر*. محقق: محمود محمد طناحي. قم: مؤسسة اسماعيليان المطبوعاتية.

ابن أعثم الكوفي، أبومحمد أحمد (١٤١١). *الفتوح*. تحقيق علي شيري. بيروت: دارالأضواء. الطبعة الاولي.

ابن الأثير الجزري، أبو الحسن عزالدين (١٤٠٩). *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. بيروت: دار الفكر.

ابن خياط، أبوعمرو خليفه بن خياط ليثي عصفري (١٤١٥). *تأريخ خليفه بن خياط*. تحقيق فواز. بيروت: دار الكتب العلميه. الطبعة الاولي.

ابن سعد، محمد هاشمي بصري (١٤١٠). *الطبقات الكبري*. تحقيق محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الاولي.

ابن عساكر (١٤٢١) *تأريخ مدينة دمشق*. بيروت: طبع علي شيري.

ابن قتيبه، عبدالله (٢٠٠٩) *المعارف*. تحقيق ثروت عكاشه. القاهره: دون اسم.

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٩٦). *لسان العرب*. بيروت: دار الصادر.

ابن هشام، عبدالملک (د. ت). *السيرة النبوية*. تحقيق مصطفي السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي. بيروت: دار المعرفة.

أبوشباب، أحمد عوض (١٤٢٦). *الخوارج: تأريخهم، فرقهم، وعقائدهم*. بيروت: دون اسم.

الاصفهاني، راغب (١٩٩٧). معجم *مفردات الفاظ قرآن‌الكريم*. تحقيق: نديم مرعشلي. طهران: انتشارات ناصر خسرو. الطبعة الثانية.

بسيوني زغلول، اعداد أبو هاجر محمد السعيد بن موسوعه (١٤١٠). *اطراف* الحديث النبوي الشريف. بيروت: عالم التراث.

البلاذري، أحمد بن يحيي (٢٠٠٠). *أنساب الأشراف*. دمشق: طبع محمود فردوس العظم.

الجزري، ابن الأثير علي بن محمد (١٣٨٥). *الكامل في التأريخ*. بيروت: دار صادر.

جوهري، اسماعيل بن حماد (١٤١٦). *الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية*. محقق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين.

دهخدا، علي‌اكبر (١٩٤٦). *الموسوعة*. تحت إشراف محمد معين. انتشارات المصرف الأهلي.

الديلمي، حسن بن محمد (١٩٨٧). *أعلام الدين في صفات المؤمنين*. محقق: مؤسسة آل البيت (ع)لاحياء التراث. قم: مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث.

الدينوري، أحمد بن داود (١٩٩٩). *اخبار الطوال*. قم: منشورات الرضي.

الرضي، الشريف (١٣٨٦). *نهج البلاغة*، ترجمة: محمد دشتي، قم، هادى مجد، الطبعة الأولى.

الزركلي، خير الدين (١٩٩٩). *الأعلام*. بيروت: دار صادر.

الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم. (١٤١٠). *الملل والنحل*. تصحيح: أحمد فهمي محمد. بيروت: دارالكتب العلميه.

الشيخ المفيد، محمد بن نعمان (٢٠٠٠). *أمالي*. قم: مجمع مدرسي الحوزة العلمية في قم.

الطبرسي، أبوالفضل بن حسن (١٤٠٦). مجمع *البيان في تفسير القرآن*. طهران: انتشارات ناصرخسرو. الطبعة الثانية

الطبري، محمد بن جرير (١٣٨٧). *تأريخ الطبري (تأريخ الرسل والملوک والامم)*. مقدمة محمد أبوالفضل ابراهيم. بيروت: دار التراث. الطبعة الثانية.

الطريحي، فخر الدين بن محمد (١٩٩٦)و *مجمع البحرين*. تحقيق: حسيني اشكوري. طهران: المكتبة المرتضوية.

قمي، الشيخ الصدوق (١٩٩٣)و *من لا يحضره الفقيه*. قم: مجمع مدرسي الحوزة العلمية في قم.

الكليني الرازي، محمد بن يعقوب (١٩٩٦)و *الكافي*. بيروت: دار إحياء التراث.

مجد، محمد (٢٠٠٢). *علم نفس الرجال والنساء، الإنسان في الصورتين*. التنقيح: مجيد موحدخواه. طهران: مؤسسة مكيال الثقافية للنشر. الطبعة *الثانية*.

المسعودي، علي بن حسين (١٤٠٩). *تأريخ المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر)*. محقق: يوسف اسعد داغر. قم: مؤسسة دار الهجرة.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (د. ت). *تأريخ اليعقوبي*. واضح الكاتب العباسي. بيروت: دار صادر.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

بررسی ماهیت لعن و نفرین‌های امام علی (ع) در نهج‌البلاغه

اکبر توحیدلو*

چکیده

سبّ و لعن از موضوعاتی هستند که طی تاریخ اسلام از آنها سخن به میان آمده و نزاع‌هایی در آن وجود داشته است. هر چند به ظاهر دو واژه سبّ و لعن مترادف به نظر می‌رسند؛ اما با دقت در معنای لغوی و موارد کاربرد آنها در آیات و احادیث درمی‌یابیم که دارای دو مفهوم متفاوت‌اند. تفکیک نشدن مفهوم آن دو باعث ایجاد شبهه‌های گوناگون و اتهام‌هایی در میان پیروان مذاهب اسلامی شده است. مقاله حاضر بررسی مواردی است که در خلال خطبه‌ها، نامه‌ها و حکمت‌های نهج‌البلاغه مستلزم نوعی توهین به برخی است. پس از بررسی‌ها این نتایج به دست آمد که بین سبّ و لعن تفاوت وجود دارد و علمای علم لغت سبّ و شتم را مترادف دانسته‌اند. اما لعن معنایی متفاوت دارد و به معنی دوری از رحمت است و همانند علم لغت در قرآن نیز این تفاوت مشاهده می‌شود و این نشان از جواز استعمال آن دارد. با مشاهده سنت نبوی هم ده‌ها حدیث از پیامبر اکرم (ص) وجود دارد که مشتمل است بر لعن مشرکان و منافقان و دشمنان رسالت و اهل کتاب و کسانی که با مسلمانان دشمنی‌های فراوانی داشته‌اند مورد لعن قرار گرفتند. این مقاله به روش کتابخانه‌ای و با بررسی کلیه خطبه‌ها، نامه‌ها و حکمت‌های نهج‌البلاغه انجام شده است.

واژگان کلیدی: سبّ، لعن، نهج البلاغه، امام علی (ع).

* استادیار گروه علوم قران و حدیث دانشگاه پیام نور تهران، ایران. (tohidlou53@yahoo.com)